

## لا ينتظرّ العرب ظهور المعجزة فلسطين لا تنقذها الحكومات بل العمل الشعبي

ليس بين العرب من يجهل ان قضية فلسطين هي اليوم أخطر مشكلة في حياتهم القومية . ولكن ما يجهله أكثر العرب هو أن الطريقة التي تعالج بها هذه القضية بعيدة كل البعد عن الصواب والنزاهة . فاذا عرفنا ان للصهيونية والدول التي تناصرها عقلية سياسية في غاية النضج والحنكة ، وأساليب في التضليل والاغراء لا يقيددها شرف ، ولا يردعها ضمير ، استطعنا من جهة ان نقدر درجة الخطر الذي ينتج عن الاستمرار في تلك الطريقة السطحية في المعالجة ، وان نسيء الظن من جهة أخرى في قصد الكثيرين من سالكيها ومروجي أساليبها .

ويمكن تلخيص هذه الطريقة في ناحيتين بارزتين : الاولى هي تحويل مشكلة فلسطين الى وجهة عاطفية عقيمة ، بأن لا نرى فيها الا صورة لغدر الدول الغربية بنا ورجوعها عما قطعتة لنا من عهود وحياتها لما تدعيه وتذرع به من مبادئ ، فنقصر كلامنا على فضح هذه النوايا المفضوحة ، واقتحام هذه الأبواب المفتوحة ، وندعو الى الحذر من هذه الدول الماكرة ، شعباً ، لم يكن في يوم من الايام الا حذراً منها ، مرتاباً فيها ، ونشجعه على الوقوف موقف المتشائم اليائس الذي لا يرى حوله إلا المؤامرات ، ولا يبصر أمامه إلا تكتل قوى باغية طاغية لا قبل له بدفعها ، فكأن الشعب الحي لا يفرض فيه أن يحسب لغدر الاعداء ومؤامراتهم حساباً . . وكان واجبنا لم يكن دوماً أن نصون حقوقنا ونكسب قضيتنا بالرغم مما يقع عليها من اعتداء ويدبر لها من مكائد .

أما الناحية الثانية ، فهي أن نسرف في الاطمئنان والتفاؤل بعد اسرافنا في الارتياح والتشاؤم ، فنعتمد على خطب الزعماء وتصريحات الوزراء وعود رؤساء الدول العربية ، مع معرفتنا بوسائل هؤلاء السياسيين وامكانياتهم ، وبالحد الذي تقف عنده جرأتهم وتضحيتهم ، والسهولة التي يتملصون بها من تصريحاتهم هذه او يناقضونها . وهكذا نرى الخطر محققاً بنا ثم نرجى الاستعداد له ونعلل النفس بالوهم . لأن زعيماً هدد وعظيماً وعد! منتظرين أن تظهر المعجزة التي لا نرى دليلاً واحداً ينبيء

بظهورها، مضحين بالعقل على مذبح السحرا!  
لنقف بجرأة ورجولة أمام الحقائق التالية:

ان تكن الصهيونية بالنسبة الى بلادنا حركة عدوان، فإنها بالنسبة الى أصحابها حركة إيمان. وان يكن وراء الصهيونية رأسماليون يغذونها ويستغلونها ودول استعمارية تجدد في مؤازرتها ربحاً لها، وتثبيتاً لاستعمارها في بلاد العرب فذلك لا يمنع الصهيونية ان تكون في صميمها حركة شعبية وان تحصل على التأييد الفعال من جميع يهود العالم!  
ونرى أيضاً ان الدول الغربية التي تناصر الصهيونية لاتفعل ذلك مختارة بل مكرهة بدافع المصلحة لأنها تجد في مناصرتها من الربح أكثر مما تلاقى في معاداة العرب من الخسارة. وأخيراً فإن واقع اليهود القوي الراقي يجعل من باطلهم في نظر الغربيين حقاً، في حين ان واقع العرب الضعيف المتأخر يكاد يججب حقهم، او على الأقل يضع هذا الحق مع باطل اليهود في مستوى واحد. فاذا وجب ان نصر على اعتبار الصهيونية بغياً وعدواناً وان نفضح أمام العالم هذا العدوان فيجب أيضاً ان لا نغفل ما يكمن وراءه من عقيدة متينة توحى الى الشعب اليهودي بالتضحية والاقدام وإلى زعماء اليهود بالتجرد والصلابة، وتطبع الحركة كلها بطابع القوة والجد والاحكام.

فالخطر الصهيوني ليس اذن مجرد غزو اقتصادي يحركه المال والطمع المادي وانما هو بالدرجة الاولى غزو ديني لا يشبهه في التاريخ الا الحروب الصليبية! ولا يقوى على دفعه الا يقظة الايمان في نفوس العرب، وتجدد هذا الايمان بشكل عملي فعال. لذلك كان الانتكال على السياسة بحساباتها ومماطلاتها أكبر مخدر لروح النضال في الشعب وأكثر ستار يججب عن العرب رؤية الخطر الذي يهددهم. فكما ان السر في نجاح الحركة الصهيونية هو كونها حركة شعبية، كذلك لاتحبط مساعي هذه الحركة الاجرامية الا متى أصبحت مقاومة العرب لها شعبية حققة. واذا كان اليهود وهم المشردون في الافاق، الذين ليس لهم أرض تجمعهم ولا دولة تمثلهم، قد استطاعوا ان ينظموا أنفسهم بشكل نادر التوحيد وان يسخرُوا لأغراضهم دولاً كبرى برمتها فهل يعجز العرب وهم شعب واحد يسكن أرضاً واحدة، عن ان يحققوا مثل تلك الوحدة في تنظيمهم وان ينقذوا قضيتهم من استغلال حكوماتهم وطبقاتهم المتزعمة، اذا لم يقدرُوا

على توجيه هذه الحكومات والزعامات في الطريق التي تنفع القضية القومية؟ .  
ان العرب يعانون مشكلة أساسية واحدة هي استسلامهم لطبقة اجتماعية تقوم  
على الاستئثار والاستئثار، وهذا الوضع يشكل ضعفهم الداخلي والخارجي لأنه يخنق  
معظم قواهم وامكانياتهم في الداخل ويظهرهم أمام العالم بمظهر الشعب المتأخر.  
ولئن كان الظرف الآن لا يمتثل الانتظار لكي تعالج المشكلة من أساسها ولا يتسع  
للانشقاق والانقسام، فيبقى أمام العرب واجب عاجل لانقاذ فلسطين، هو ان يتركوا  
الحكومات وشأنها ويودعوا آخر أمل لهم في نجوع السياسة الرسمية فيلتفتوا الى العمل  
الشعبي ويصبوا فيه كل جهودهم .  
أما الحكومات العربية وجامعتها فيبقى أمامها سبيل واحد لكي تبرهن على انها لم  
توجد لخدمة الاجنبي والعمل بوحيه، هو ان لاتضع العقبات والعراقيل في وجه الشعب  
المتعطش للجهاد!

٦ آب ١٩٤٦